الناس في بلادي

الناس في بلادي جارحون كالصقور
غناؤهم كرجفة الشتاء في ذؤابة الشجر
وضحكهم يئز كاللهيب في الحطب
خطاهم تريد ان تسوخ في التراب
ويقتلون ، يسرقون ، يشربون ، يجشأون
لكنهم بشر
وطيبون حين يملكون قبضتي نقود
ومؤمنون بالقدر

* * *

وعند باب قريتي يجلس عمي مصطفى
وهو يحب المصطفى
وهو يقضي ساعة بين الاصيل والمساء
وحوله الرجال واجمون
يحكي لهم حكايةً ... تجربة الحياة
حكاية تثير في النفوس لوعة العدم
وتجعل الرجال ينشجون
ويطرقون
يحدّقون في السكون
في لجة الرعب العميق والفراغ والسكون
« ما غاية الانسان من اتعابه ؟ ما غاية الحياة ؟ »
يا ايها الاله
الشمس تجتلاك والهلال مفرق الجبين
وهذه الجبال الراسيات عرشك المكين
وانت نافذ القضاء ... ايها الاله
بنى « فلان » واعتلى وشيد القلاع
وأربعون غرفة قد ملئت بالذهب اللماع
وفي مساء خافت الاصداء جاءه عزريل
يحمل بين اصبعيه دفتراً صغير
واول اسم فيه ذلك الفلان
ومد عزريل عصاه
بسر حرفي (كن) ، بسر لفظ (كان)
وفي الجحيم دحرجت روح فلان
(يا ايها الاله ...
كم انت قاسٍ موحش يا ايها الاله)

* * *

بالأمس زرت قريتي ... قد مات عمي مصطفى
ووسدوه في التراب
لم يبتن القلاع ... (كان كوخه من اللبن)
وسار خلف نعشه القديم
من يملكون مثله جلباب كتان قديم
لم يذكروا الاله او عزريل او حروف كان
فالعام عام جوع
وعند باب القبر قام صاحبي خليل
حفيد عمي مصطفى
ومدّ للسماء زنده المفتول
تلوح في عينيه نظرة احتقار
فالعام عام جوع ...

القاهرة

صلاح الدين عبد الصبور
من الجمعية الادبية المصرية

٦٣